Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

خطاب نقد النقد ومستواه الإجرائي عند حميد لحمداني

Critical Criticism Speech and procedural level by Hamid Lahmidani

عليمة حمزاوي (Hamzaoui Alima)
جامعة عباس لغرور خنشلة (University Abbes Laghrour Khenchela)
الدكتور عمر عيلان (Omar Ailane) المؤلف/المراسل: عليمة حمزاوي(Hamzaoui Alima)
الإيميل:hamzaouialima1@gmail.com

تاريخ الاستلام : 2018-11-02 تاريخ القبول : 2019-02-10

ملخص:

نتناول في هذه الورقة البحثية خطابا في غاية الأهمية أصطلح عليه بـ:خطاب نقد النقد الذي ذاع صيته في الآونة الأخيرة نتيجة التراكم المعرفي للمنجزات النقدية ما أدى إلى صعوبة كبيرة في الإحاطة بها، فبرز في ساحة النقد العربي كمسار إبستيمولوجي يسعى إلى فهم طبيعة الممارسة النقدية لناقد الإبداع بمساءلة منهجه النقدي واختبار صحة المفاهيم النظرية في تطبيقها على النصوص الإبداعية، هذه الأدوات الإجرائية تتطلب من ناقد النقد التسلح بها، والتي لخصها الناقد المغربي حميد لحمداني في التساؤل عن: المنهج، ضوابط التحليل من أهداف، متن، ممارسة نقدية وهذه الأخيرة بدورها تتضمن: الوصف، التنظيم، التأويل، التقويم الجمالي، اختبار الصحة.

الكلمات المفتاحية:

النص النقدي، خطاب نقد النقد، المفهوم النظري، المستوى الإجرائي.

Abstract:

In this article, we present a very important speech called Criticism of Criticism, published recently, following the accumulation of knowledge on critical achievements, which made it difficult to take into account. He has appeared in the field of Arab criticism as an epistemological track, Creativity by questioning his critical method and by testing the validity of theoretical concepts in its application to creative texts, these procedural tools require critique of criticism, summed up by the Moroccan critic Hamid Lahmidani in the question: curriculum, goal analysis checks, dashboard, Here are the following: description, organization, interpretation, aesthetic calendar, health tests.

Keywords:

critical text, critical critical discourse, theoretical concept, procedural level.

مقدمة:

عرفت ساحة النقد العربي تحولات جذرية على مستوى الدراسات النقدية، نتيجة ظهور العديد من المناهج الغربية ذات توجهات نقدية مختلفة من لسانيات، بنيوية، أسلوبية، سيميائية وغيرها، استلهمها الناقد العربي لمقاربة النصوص الإبداعية، فبرزت العديد من الدراسات إما تنظيرا أو تطبيقا ما أدى إلى تضخم المنجزات النقدية لاسيما في العقود الأخيرة على هذا الأساس ظهر خطابا جديدا اجتاح هذه الساحة عرف بـ: نقد النقد* (**critique of criticism**)، الذي سعى إلى فهم طبيعة الممارسة النقدية لهذه الدراسات في محاولة منه الإحاطة بها ضمن هذا التراكم المعرفي .

بناء على ذلك تتمحور إشكالية هذا المقال حول سؤالين أساسين هما: ما المفهوم الدقيق لنقد النقد ؟ وفيما تتمثل آلياته الإجرائية التي يتوسل بها ناقد النقد لمقاربة النصوص النقدية ؟

1.المفهوم النظري:

يعد مصطلح **نقد النقد** من المصطلحات الشائكة والشائعة في الخطاب النقدي العربي المعاصر لما يعتريه من غموض وتعقيد بسبب اجتماع كلمتين هما في الأصل كلمة واحدة (النقد)، لأن هذا الأخير في حد ذاته عرف العديد من المفاهيم المختلفة نتيجة تطوره عبر العصور، "فبقي متأرجحا بين أزمنة نقدية عدة : قديمة يستدعيها المفهوم العام لكلمة النقد وحديثة يقيدها الاستعمال المعاصر المعزز بالدرس الإبستيمولوجي".[i]

لكن بالرغم من ذلك سنحاول الوقوف عند بعض المفاهيم التي أوردها بعض النقاد سواء عند الغرب أو العرب لضبط مفهوم هذا المصطلح، فمثلا يعرفه **تزفيتان تودروف** بأنه "نوع من النقد الحواري* الذي يجمع بين منهجين ملتحمين هما: المنهج النقدي المؤسس على الملاحظة والمقاربة والاستقراء وإدراك العلائق والمنهج المؤسس على الجدلية "[ii]؛ بمعنى لابد من امتلاك ناقد النقد منهجين أساسين في ممارسته للعملية النقدية، حيث يتمثل المنهج الأول في النقد الأدبي المبني على الاستقراء والملاحظة والمقارنة أثناء مقاربته للنص الإبداعي، في حين يتجلى المنهج الثاني في المحاورة النقدية للعملية الاستقرائية التي قام بها الناقد الأول، كما أن فكرة الحوار هذه قد تأثر بها **محمود أمين العالم** لكن بصياغة أخرى، حين نظر إلى نقد النقد على أنه " تجربة نقدية شاقة وبالغة الصعوبة وصعوباتها تأتي من كونها لا تعتمد على نصوص إبداعية ذات فضاءات تعبيرية مباشرة أو غير مباشرة، وإنما تقوم على حوار مفتوح مع نظريات ووجهات نظر وثيقة الصلة بالأثر الأدبي وفيها رؤى نقدية موضوعية متماسكة تستند إلى قيم ومعايير ذات مرجعيات وأخرى رؤى خارجية وبعيدة عن كل مرجعية "[iii] ؛ هذا يعني أن الناقد قد جعل، هو الآخر، نقد النقد نوعا من الحوار، من خلال محاورته للنص النقدي بكل ما يحمله من رؤى ووجهات نظر نقدية ذات صلة بالعمل الأدبي تحتكم إلى مرجعيات أو ربما ليس لها مرجعية وهنا تكمن صعوبته.

يتخذ خطاب نقد النقد من النقد موضوعا لدراسة، بمعنى أن المدونة التي يشتغل عليها هذا الخطاب هو النقد بنوعيه (النص الإبداعي، والنص النقدي) بهدف فحص الممارسة النقدية وتقييمها وتصحيحها، لأن نقد النقد كما يقول **جابر عصفور** هو "قول يراجع قولا للتأكد من صحة عمل الجهاز النقدي وللتأكد من سلامة توصيل الموضوع"،[iv] فغاية هذا الخطاب هو

مناقشة الأسس النظرية للمناهج النقدية الحداثية من جهة ومراجعتها وتعديلها من جهة أخرى على هذا الأساس يعرف أيضا **جابر عصفور** هذا الخطاب بقوله هو "نشاط معرفي ينصرف إلى مراجعة الأقوال النقدية، كاشفا سلامة مبادئها النظرية وأدواتها التحليلية وإجراءاتها التفسيرية (...) أو لغة أخرى أن يكون ابستمولوجيا نوعية خاصة بالنقد "[v].

أما **محمد الدغمومي** فقد ألف كتابا*في غاية الأهمية ، نظّر فيه لهذا الخطاب يحمل عنوان: "**نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر**"، حيث أقر بصعوبة نقد النقد نظرا لتقاطعه مع خطابات نقدية أخرى، كالخطاب التاريخي، الخطاب التنظيري، وهذا ما يتضح في قوله : "وإذا ماحللنا بناءه ألفيناه خطابا يتقاطع فيه التأريخي والتنظيري، لأنه يميل إلى بحث موضوعات ونصوص نقدية سابقة، ثم لأنه يتزود بحصيلة نظرية وإجرائية تخضع تلك الموضوعات والنصوص إلى مبادئها وصولا إلى فهم جديد يعطيها صورة غير مكررة"،[vi] وبالرغم من إقراره بأن نقد النقد هو رؤية إبستيمولوجية يسعى لفهم طبيعة المعرفة التي ينتجها النقد، إلا أنه يرى بأن مفهومه"يظل في جوهره مشروعا يصعب تحديده بدقة "[vii] بسبب هذا التداخل لاسيما مع التنظير، وهذا الأخير صنفه **الدغمومي** ضمن أربعة خطابات*تمثلت في: **خطاب التحقيق، التعليم، التأريخ، التنظير** التي تميز بها خطاب نقد النقد.

وعلى الرغم من أن خطاب نقد النقد لم يحدد مفهومه بدقة، إلا أن هناك الكثير من النقاد والدارسين من أقروا باستقلاليته، لأنه خطاب قائم بذاته له مرجعياته الإبستيمولوجية والفلسفية التي يستمد منها أدواته الإجرائية ، بهدف مقاربة النص النقدي المنجز للوصول إلى نتيجة مغايرة للنتيجة التي توصل إليها الناقد الأول الذي كان العمل الأدبي مدار اشتغاله، "ليغدو بذلك خطاب تحقيق يستهدف تفكيك النص النقدي من أجل إعادته إلى عناصره المشكلة له وتبيين العملية التي أنشئ من خلالها في محاولة جادة لتحديد الذهنية التي أنتجته"[viii].

2. **المستوى الإجرائي**:

إذا كانت المدونة التي يشتغل عليها خطاب نقد النقد هي النص النقدي، فإن ذلك يستلزم أن يكون منهجا نقديا له آلياته الإجرائية لقراءة النصوص النقدية، على هذا الأساس حاول الناقد المغربي **حميد لحمداني** وضع منهجية علمية دقيقة تضبط حدود ومعالم نقد النقد تم تلخيصها فيمايلي :

أ-**مساءلة المنهج :**

يعرف المنهج بأنه "أسلوب في التفكير، وخطوات علمية منظمة تهدف إلى حل مشكلة أو معالجة أمر من الأمور (...)، وهو برنامج عمل في البحث العلمي وفي نقل النظري إلى التطبيق، وفي التخطيط للمستقبل وفق نظرة بصيرة"[ix] وقد حظي بأهمية قصوى في الدراسات النقدية العربية المعاصرة لأن الناقد العربي يقارب النصوص الأدبية بجملة من الإجراءات النقدية التي استوحاها من المناهج الغربية، الأمر الذي يتطلب منه وعيا بالمنهج وتوظيفه توظيفا صحيحا ولا يستقيم له ذلك إلا بمعرفة نشأته وخصوصيته، لأنه ثمرة مرحلة تاريخية ذات خصوصيات اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية،" إذ لكل منهج زمن وثقافي يعطيه موقعه ودوره "[x].

هذا المنهج هو خاص بناقد الأدب، أما ناقد النقد فيظن أثناء ممارسته النقدية أن المنهج بالنسبة له غير ضروري على أساس أن مادة موضوعه هي النصوص النقدية، صحيح أن **لحمداني** دعا ناقد النقد إلى عدم تبنيه مناهج نقد الإبداع؛ "لأن المجال الحقيقي لبحثه الخاص ليس هو المعرفة بل هو معرفة المعرفة هو إذن مجبر إذا كان يدرك حدود مهمته الخاصة على أن يشتغل في الحقل الإبستيمولوجي"[xi] ، إلا أن مهمة ناقد النقد بالتحديد هي مساءلة المنهج الذي تبناه ناقد الإبداع وتوضيح منهج دراسته، لأن أي ناقد "مهما كانت مكانته وممارسته للنقد، لابد وأن يتخذ لنفسه طريقا أو منهجا للتعامل مع النصوص" [xii] ، وإن لم يصرح به في مقدمة كتابه لكن لابد من معرفة مساره المنهجي من خلال ممارسته التطبيقية والوقوف عند أهم المصادر والمراجع التي اعتمدها هذا الناقد، فهذه المؤشرات تساعد ناقد النقد على معرفة التوجه النقدي لناقد الأدب وإن افتقرت الدراسة إلى مقدمة منهجية، وأيضا معرفة مدى قدرته على التحكم بأدوات المنهج وملاءمته للنص الأدبي، باستخدامه أداة الوصف التي تحقق له قدرا من الموضوعية وتجنبه التعرض للأيديولوجيا ،لأن "ناقد الأدب هو وحده المعرض لدخول عالم الإيديولوجيات، أما ناقد النقد فيكتفي بتتبع رحلة الناقد بين النص والواقع وفي التحليل. بل سيهتم أثناء وصف هذه الأشياء سيرورة عمليات التفكير والتحليل عند ناقد الأدب ومدى وضوح الفرضيات والنتائج وانسجامها وقدرتها على الإقناع"[xiii] ، بالإضافة إلى إحاطته الشاملة بالأصول النظرية للمناهج على الرغم من أنها مهمة شاقة وصعبة على حد تعبير **لحمداني**، إلا أن هذه المهمة تفترض على ناقد النقد أن يكون أعلم من المنقود من خلال معرفته بكل المناهج النقدية ومدى اختلافها حتى تكون خدمته حقيقية يقدمها للمعرفة النقدية .

ب/ ضوابط التحليل :

يتطلب من ناقد النقد تحديد الضوابط الإجرائية ومعرفتها، من خلال طرحه العديد من الأسئلة التي تساعده على التعامل وفهم النصوص المراد قراءاتها فهما صحيحا، وقد أوضح **لحمداني** هذه الأسئلة في ستة نقاط هي:[xiv]

-تحديد المنطلقات المنهجية التي صرح بها الناقد أو لم يصرح بها.
-تبيان حدود المتن الذي اعتمده في التحليل .
-إبراز وسائل إقناعه.
-معرفة بناء خطة بحثه وتحليله.
-معرفة أهدافه الأساسية وكيفية اكتشافها.
-معرفة إذا كان هناك انسجام بين الجانب النظري والممارسة التطبيقية أو لا.

بعد طرح هذه الأسئلة ومحاولة الإجابة عنها ، يتطلب من ناقد النقد أن يترصد لثلاثة قضايا جوهرية وضعتها الناقدة **جوهانا ناتالي** وهي تعد بمثابة المبادئ الأولية التي يحتكم إليها أي ناقد في دراسة نصوصه، والمتمثلة في:[xv]

ب1-الأهداف:

إن معرفة أهداف ناقد الأدب تسهل على ناقد النقد تحديد رؤيته المنهجية التي اعتمدها، وهي تختلف باختلاف المبادئ التي يقوم عليها كل منهج في مقاربة النصوص، فنجد بعض الدراسات تركز على الظروف المحيطة بالكاتب، والبعض منها على البنية الاجتماعية للنص ، والآخر يكون هناك

تداخل بين المناهج على أساس التوفيق بينها ، مما يجعل التعرف على الأهداف أمر في غاية الصعوبة.

كما أن الأهداف قد يحددها الناقد في المدخل النظري، إلا أن النتائج التي توصل إليها لاتفضي إلى ذلك على هذا الأساس يدعو لحمداني إلى ضرورة "ضبط مدى الانسجام بين الأطروحات النظرية ونتائج الممارسة النقدية"[xvi] ، والتأكد من انسجام تلك النظرية نفسها، "ومدى تلاؤمها مع الأصول التي أخذت منها،فقد يكون هناك تشويه أو إضافة،أو عدم تمثل لبعض الجوانب المستفاد منها"[xvii]ومحاولة التعرف على منهج الناقد ليس بالأمر السهل، خاصة إذ لم يكن هناك مقدمة منهجية توضح ذلك، بل إن وجودها أيضا ليس كافيا لتحديد منهجه، لذا تدعو **ناتالي** الدارس إلى اقتفاء أثر منهجية الناقد في المصادر والمراجع التي وظفها، كونها تسهل عليه التعرف على الخلفيات النظرية المتحكمة في تحديد أهداف دراسته، أو النظر أيضا إلى المصطلحات المستعملة، فيتضح بذلك منهجه.

ب2-المتن:

يعد عملية أساسية في مجال نقد النقد، وبه يتضح المتن الذي يشتغل عليه النص النقدي نفسه، إلا أن الجانب التطبيقي، كما يرى لحمداني، قد يجعله في تقاطع كبير مع نصوص أخرى، الأمر الذي يجعل التحليل مفتوحا دائما، ولاسيما إذا اعتمد الناقد مبدأ المقارنة، وكثرة الشواهد، "فيصبح النص الأصلي الأول الذي تقوم عليه الدراسة غارقا في نصوص هامشية"[xviii] ومن ثم تغدو مهمة ناقد النقد في غاية الصعوبة، لأنها تدخله في متاهات البحث المختلفة، لذا يتطلب منه التعامل بحذر مع النصوص المدروسة.

ب3- الممارسة النقدية*:

يتطلب من ناقد النقد ضرورة معرفة طبيعة الممارسة النقدية لناقد الإبداع ومدى تطابقها للمفاهيم النظرية، وقدرته على التحكم في الجهاز الاصطلاحي للمناهج النقدية الغربية، سواء أكان الناقد قد تبنى منهجا واحدا أثناء مقاربته للنص الإبداعي، أم حاول التركيب بين عدة مناهج نقدية مختلفة على أساس التوفيق بين أدواتها الإجرائية بهدف استنطاق النص وفك شفراته، إلا أننا نجد الكثير من النقاد والدارسين من كانت دراستهم تلفيقية أكثر من توفيقية لأن محاولة التوفيق بين هذه المناهج هو إجحاف في حق النص الأدبي ولوي عنقه على حد اصطلاح **عبد الله الغذامي**، كونه مجموعة من النصوص المتداخلة والمتناصة على الرغم من خصوصيته واستقلاله، فعملية التوفيق هذه تضر النص أكثر ما تنفعه إذا لم يكن هناك قدرة على الاستيعاب المنهجي والوعي به، على هذا الأساس يقر **محمد الدغمومي** بأن "لا أحد من النقاد استطاع أن يضيف إلى التنظير الأصلي للمناهج شيئا سوى مايبررها ويوسع دائرة توظيفها في تناول الأدب العربي والتوفيق بينها دون فرضيات قادرة على صنع منهج مستقل له نظريته الخاصة يتجاوز حدود إعادة الإنتاج"[xix]،لكن هذا لاينفي بعض المحاولات الجادة والمتميزة من قبل نقادنا العرب الذين حاولوا تطويع المنهج وتطعيمه من مختلف المناهج الأخرى حتى يلاءم خصوصية النص الأدبي ومرجعيته العربية من أمثال ذلك: **حميد لحمداني، سعيد يقطين، عمر عيلان** ...وغيرهم.

قد يدّعي الناقد أثناء ممارسته النقدية بأنه يحتكم إلى الصرامة العلمية المنهجية، إلا أن الجوانب الذاتية الحدسية كثيرا ما تتضمن هذا العمل، وهذا ما أشارت إليه **ناتالي**، وهي الفكرة نفسها أيضا التي أشار إليها **محمد الناصر العجيمي** في كتابه "**النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية** "حول صعوبة تحقيق الموضوعية في نقد النقد، لاسيما في النقد العربي الحديث؛ لأن " التوفر على مثل هذا العمل يفترض الانتباه إلى مقاييس صريحة واضحة وموضوعية حتى نجعل عملنا في مأمن من الاعتباطية والاعتساف، ونضمن له القدر الأوفر من العلمية، والحال أن قرائن عدة تتضافر لتنتهي بنا إلى استنتاج أن الموضوعية التامة أمر يعز طلبه بل يكاد يكون في حكم المتعذر"[xx].

وأن التطور والتغير الذي مس المعرفة جعلها متشعبة ومتنوعة، بل نجد داخل الجانب المعرفي الواحد تيارات معرفية مختلفة كما هو الحال بالنسبة لنقد النقد الذي تداخلت فيه الكثير من التيارات والخطابات والتبست مع بعضها البعض،"فإذا العلاقة بين السيميائي والأسلوبي والبرغماتي والفلسفي والأيديولوجي والنفسي تبدو من التداخل والالتباس بحيث أضحى من الصعب إدراك الفواصل القائمة بينها وتبين ما ينتسب إلى هذا أو ما يشد إلى ذاك "[xxi]بالإضافة إلى غموض المفاهيم الاصطلاحية الموظفة والتباسها هو ما يفقد ناقد النقد تعامله المنهجي مع موضوعه، لأن "المفهوم*إذا كان عصيا عن التحديد ملتبس الهوية استفحلت مخاطر الانزلاق المنهجي وتقلصت حظوظ السيطرة على موضوع الدرس"[xxii]، لذلك لابد من وضوح المفاهيم وتحديد بنياتها بهدف بناء معرفة علمية صحيحة والتعامل مع النص بكل دقة وموضوعية ، ولكي يتجاوز ناقد النقد إشكالية غموض المفاهيم والتباسها لابد له من معرفة "**النشاط العرفاني**" على حد اصطلاح **العجيمي**، وهذا النشاط "يتيح معرفة ثانية وتاريخية انطلاقا من العيني المحسوس، وهذه المعرفة تنتج بدورها معرفة أخرى فأخرى في عملية لا تتوقف عند حد نظريا "[xxiii]؛ بمعنى أن ما هو محدود بطبيعته عند ناقد الإبداع وهو يقارب نصه ، يقابله الانتظام عند ناقد النقد .

توضح **ناتالي** أهم العمليات التي يقوم بها النقاد أثناء ممارستهم النقدية التي تظهر في :

ب1.3.الوصف:(Description)

ينظر النقاد إلى بعض المظاهر على أنها العناصر التي يمكن أن تقدم لهم صورة كاملة وواضحة عن النص المدروس، لأنها تصفه من داخله، مثلا : في مجال الرواية نجد أن العناصر المتحكمة فيها هي : السرد، الوصف، الحوار، الأبطال، الزمان، المكان وغيرها في مجال الشعر تظهر لنا مكونات الإبداع الشعري المتمثلة في : الإيقاع، الوزن، القافية الاستعارة وغيرها، وتختلف دراسات النقاد، كما يحيل إلى ذلك لحمداني ، من ناقد إلى أخر فمنهم من يهتم بجميع العناصر، ومنهم من يهتم ببعضها، ويفضل دراسة عنصر على أخر وهكذا.

إلا أن لحمداني يرى أن الأمر يقتضي تدخل ثقافة الناقد، لأنه لا ينطلق من فراغ أثناء وصفه لهذه المظاهر، بل طبيعة تأمله ومناقشته لها تتم بلا شك من خلال ارتباطه بمفاهيم مسبقة عنها، وهو ما أطلقت عليه ناتالي بـ: "قوانين الأساس"ويقدم لحمداني بعض الأمثلة التي توضح ذلك، بمثال عن مفهوم الشخصية الروائية الذي يختلف مفهومها وتحليلها في النموذج العاملي لـ غريماس عن مفهومها في التصور الواقعي أو

الرومانسي، أو النقد العنيف الذي وجهه باختين للأسلوبية التقليدية التي تعاملت مع الفن الروائي على أنه أسلوب فردي صادر عن الشعر، مفهوما أو قانونا أساس لا يمت أي صلة بالرواية .

ب2.3. التنظيم: (Ordination)

يعد مرحلة ضرورية في كل عملية نقدية ، ذلك أن تحليل النص المدروس يقتضي وضع نظام الملامح المميزة له، كما أن اختلاف المناهج النقدية تلعب دور كبيرا في تحديد ذلك النظام، كأن يتبنى مثلا ناقدا منهجا نفسيا، سيكون تركيزه بالتأكيد على العام النفسي بالشخصيات، ونظامه لا يخرج عن العقد النفسية والرغبات المكبوتة وغيرها، كما أن الناقد الذي يتبنى المنهج الاجتماعي أو البنيوي أو السيميائي وغيرها من المناهج، فإن نظامه يتغير من مستوى إلى آخر، "وهكذا يتغير نظام الخصائص المميزة بتغير مستوى زاوية نظر الناقد تبعا لرؤيته المنهجية المتبعة" [xxiv].

ب3.3.التأويل(The interpretation)

ليس كل المناهج تركز على التأويل، كالدراسات البنائية التي ترتبط بعالم الأشكال، وقد لا يلجأ إليه كل النقاد أثناء تحليلهم للنصوص؛ لأنه "ليس محطة ضرورية بالنسبة لهم ولكنه أساسي فقط بالنسبة للأفراد، مبدعين كانوا أو متلقين، أو بالنسبة للمجتمع أو الطبقات الاجتماعية"[xxv]، غير أن **لحمداني** يرى بأن الناقد بحاجة للاستناد إلى علوم أخرى تكون بمثابة قوانين أساس تساعده على تحقيق وإضفاء معنى أخر على النص وبالتالي "تكون مهمة دارس النص النقدي قد تعقدت لأنها تدعوه إلى مصاحبة الناقد في عمليات تأويل تطرح أسئلة كبيرة في كثير من الأحيان، لأنها تثير مشاكل وجودية ونفسية وتاريخية، بالإضافة إلى مشاكل التأويل نفسه، التي يلعب فيها التعامل مع النص أيضا دورا كبيرا" [xxvi].

ب4.3.التقويم الجمالي:

يرى **لحمداني** أن الناقدة **ناتالي** قد أهملت هذا العنصر، والسبب في ذلك يرجعه كما يقول : "إلى نوعية النقد الذي تعاملت معه -النماذج البنائية التي تناولت قطط بودلير-لايهمه أن يصدر أحكاما تقويمية تخص الجانب الفني في العمل الأدبي"[xxvii]، إلا أنه وبحكم طبيعة النقد العربي، يرى ضرورة توظيف هذا العنصر ضمن مرحلة الممارسة النقدية، لأنه لاحظ الكثير من النقاد وهم يدرسون الرواية العربية يقومون في بعض الحالات بإبراز القيمة الجمالية للأسلوب، وقد يستند هذا التقويم على أساس علم الجمال، أو من خلال مقارنة النقاد بين النصوص الروائية التي لقيت نجاحا في الوسط النقدي والثقافي العام وغيرها.

كما أن التقويم الجمالي قد لا يهم بعض النقاد الذين يتبنون الدراسات البنائية ، أو المناهج التي تهتم بالمعنى الاجتماعي والنفسي، أو المنهج الموضوعاتي، بيد أن الأمر قد يكون ضمنيا؛ لأن "النقد البنائي قد يولد شعورا بالتقويم الجمالي لدى المتلقي بحكم الاهتمام البالغ بالبنيات الشكلية"[xxviii] وهذا لايمنع المحلل البنيوي من إصدار بعض أحكام القيمة على الإبداع الأدبي، "ذلك أنه لاينبغي أن نفترض دائما أن التحليل البنيوي سوف يلتزم دائما بطابعه البنيوي عند الممارسة "[xxix].

ب5.3.اختبار الصحة: (Validation)

تتضح غايته في "إعطاء فكرة عن القيمة المعرفية المتولدة عن بنيان تحليلي معين، بما فيه من نظام وصفي وما يتصل بذلك من وسائل الإقناع المستخدمة، وما ينتج في النهاية من تأويل، أو تحديد للقيمة الفنية للعمل المدروس"[xxx] وأن تكون النتائج المتوصل إليها مطابقة لبعض جوانب النص.

يرى **لحمداني** أن النقد العربي قد يلجأ إلى استخدام هذه التقنية، لكن دون أن تكون بنفس الحجم أو النتائج المتوصل إليها ، كتلك التي نراها في تطبيق المناهج المعاصرة لاسيما عند البنائية ، والشكلانية ومابعد البنائية، والنقد الجديد وغيرها، إلا أنه يأمل أن تكون هناك محاولات طفيفة تثبت فعالية هذه الأداة المنهجية، لأن هذه الأخيرة ضرورية في مجال نقد النقد، بل "ينبغي أن تصاحب جميع خطوات الدراسة، سواء تعلق الأمر باختبار صحة المعلومات النظرية التي اعتمدها الناقد أو مراقبة وفحص سلامة النتائج التي توصل إليها"[xxxi].

كما أن تطبيق هذه الأداة قد تعرض ناقد النقد لصعوبات كبيرة، لاسيما إذا لم يحدد النقاد النصوص التي اختاروها كنماذج للتحليل، لأنه في هذه الحالة سيضطر ناقد النقد إلى قراءة النصوص الإبداعية بدل أن يقرأ النص النقدي، ومن ثم "التعليق عليها في ابتسار شديد، وهنا سيتجه المجهود إلى ميدان آخر ليس هو الميدان الحقيقي الذي نذر ناقد النقد لنفسه له، لأنه سيصبح في نفس الوقت ناقد إبداع، بدل أن يكون فقط ناقد النقد" [xxxii].

ولكن يرى **لحمداني** أنه بمقدور ناقد النقد مبدئيا "أن يقابل بين النص المدروس، وبين النتائج المحصل عليها حتى يرى مدى ملاءمتها ومراعاتها لجميع عناصر النص "[xxxiii]، وهي الطريقة التي استخدمها الناقد كما يحيل في هامش كتابه، عند مناقشة **عبد الكريم حسن** في الدراسة الموضوعاتية لقصيدة "**منزل الأفنان**" لـ **بدر شاكر السياب**.

بعد أن عرض **لحمداني** هذه المبادئ والخطوات بالشرح والتحليل، وبين مدى صعوبة تطبيق البعض منها، يقر بأنه سيحاول قدر الإمكان تطبيقها، "علما بأن بين كل هذه الخطوات علاقات تداخل كبيرة ، حتى إننا كثيرا ما شعرنا بأن الحدود بينها تتقلص إلى حد التداخل ومع ذلك فإن ما هو إجرائي، يميل دائما إلى تفكيك المادة المدروسة وتشريحها في الوقت الذي تظل فيه هذه المادة تتمسك بوحدتها وتميزها في هذه الوحدة بالذات"[xxxiv].

خاتمة:

وفي الأخير نخلص إلى نتيجة مفادها أن خطاب نقد النقد ظهر كضرورة حتمية يحاول الحد من الدراسات النقدية ذات السطحية المنهجية وعدم الوعي بالآليات الإجرائية، لذلك نفنّد الرأي الذي يدّعي بأن نقد النقد هو إعادة قراءة النص المقروء، بل هو رؤية معرفية نقدية منهجية تسعى إلى فهم طبيعة الممارسة النقدية بأدوات إجرائية تتطلب الدقة والموضوعية وثقافة نقدية واسعة لإثراء العملية النقدية، على هذا الأساس استطاع الناقد لحمداني بلغة نقدية واضحة أن يؤسس خطوات منهجية علمية يعتمد عليها ناقد النقد لمعالجة النصوص النقدية معالجة منهجية صحيحة، بل وهو بذلك حاول إرساء معالم هذا المبحث الجديد، بوضع مبادئه وإجراءاته وأهدافه، حتى يغدو منهجا نقديا كباقي المناهج الأخرى، وعلى الرغم من أن هناك الكثير من القضايا المتعلقة بخطاب نقد النقد،إلا أن

هدفنا من هذه الدراسة الموجزة هو التعريف بهذا الخطاب المعرفي وتوضيح مستواه الإجرائي ضمن الرؤية المنهجية التي قدمها لحمداني لناقد النقد.

هوامش البحث:

*لم يظهر مصطلح نقد النقد إلا بعد ترجمة الناقد اللبناني سامي سويدان لكتاب البلغاري تزفيتان تودروف الموسوم بـ: "نقد النقد ، رواية تعلم" عام 1986، ويظن عبد المالك مرتاض أن العجمة البلغارية هي التي كانت عائقا في منع تودروف من استخدامه، ينظر عبد المالك مرتاض، في نظرية النقد، متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها، دار هومة، الجزائر، د.ط، 2010، ص:223.222، كما يطلق على مصطلح نقد النقد تسميات أخرى من مثل: النقد الشارح ، ميتا نقد، القراءة النقدية الواصفة ، ما بعد النقد ، قراءة القراءة وغيرها.

1 محمد الدغمومي، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، المغرب ، ط1، 1999 ص:114.

*استلهم تودروف مصطلح "النقد الحواري" من خلال قراءاته الكثيرة عن ميخائيل باختين لـ دستيويفسكي ، الذي يقصد به تفاعل الأصوات المختلفة وتقاطع الخطابات المتعددة في الخطاب الأدبي ، كما استفادت جوليا كريستيفا من حواريته حيث بلورت هذا الأخير إلى مصطلح التناص .ينظر محمد سويرتي، النقد البنيوي والنص الروائي ، نماذج من النقد العربي (الزمن، الفضاء، السرد)، الدار البيضاء، ج2، دط، 1991، ص:181.

[2] المرجع نفسه ، ص:182.

[3] محمود أمين العالم ، الإبداع والدلالة ، الهيئة المصرية العامة ، مصر ، دت، دط، ص:96.

[4] جابر عصفور ، قراءة في نقاد نجيب محفوظ ، مجلة فصول ، مصر ، العدد3، أفريل ،1981،ص:177.

[5] محمد الدغمومي، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر ، ص:117،118.

*استطاع محمد الدغمومي في كتابه السابق الذكر من إثارة العديد من الأسئلة والقضايا حول خطابي نقد النقد والنقد وأيضا التنظير وغيرها ، فحقق انجازا كبيرا بهذا الطرح النقدي ، نتيجة امتلاكه نظرة نقدية ثاقبة وثقافة واسعة من خلال اطلاعه على التراث النقدي العربي الحديث من جهة، وعلى النقد الغربي من جهة أخرى، بالإضافة إلى تحكمه الجيد بكل المفاهيم والمصطلحات ذات صلة بموضوعه.

[6] محمد الدغمومي، نقد النقد ، ص:76.

[7] المرجع نفسه ، ص:119.

*تقديم تعريفات موجزة لهذه الخطابات :

-**خطاب التحقيق** : ينطلق من فعل التحقيق للوصول إلى فهم مغاير للفهم السابق للنصوص النقدية ، يقوم على مبدأ التساؤل بهدف إعطاء صورة جديدة غير مألوفة عن الصورة الأولى للموضوع المدروس ، ويطلق عليه الدغمومي مصطلح خطاب اكتشاف أو استقراء أو خطاب القراءة لأن آلياته لا تخرج عن هذه المصطلحات : التحليل، الفحص، المقارنة ،التنظيم ،إعادة التركيب.

-**خطاب التعليم** :هو خطاب تتقاطع فيه مقاصد واهتمامات مهنية خاصة وثقافية عامة ويريد أن يعطي لنفسه صفة الخطاب المعرفي، فموضوعه مرتبط بفائدة ينبغي تعليمها وإيصالها إلى الآخر.

-**خطاب التأريخ** : يربطه الدغمومي بالمنهج التاريخي الذي يضع النقد في سياق الأحداث والوقائع السياسية والاجتماعية وتقديم المعلومات الببيوغرافية الخاصة بحياة الأدباء والنقاد، ونجد ضمن هذا التأريخ أشكالا أخرى من التحقيقات تظهر بـ: (حسب العصر، حسب القرون، المراحل، حياة النقاد ، القضايا والنظريات والمناهج ...).

-**خطاب التنظير**: هو جملة من العمليات المعرفية التي تشتغل على عناصر ما قبل النظرية أو متفرعة عن نظرية سابقة بحثا عن نظرية مقترحة جديدة أو معدلة قبل أن تستقر في شكل بناء منظم يمكن تسميته نظرية بمعنى أن هدف التنظير هو إيجاد نظرية جديدة أو محاولة طرح بدائل أو تعديل نظرية سابقة وهذا ما جعله يختلف عن نقد النقد على الرغم من ارتباطهما الوثيق ينظر محمد الدغمومي، نقد النقد، ص:75،62،76، 41.

[8] المرجع نفسه، ص ن.

[9] حسن حنفي، المنهج الفلسفي ضمن قضايا العلوم الإنسانية، إشكالية المنهج، الهيئة العامة لقصور الثقافة، دط، دت، ص:07.

[10] محمد الدغمومي، نقد النقد ، ص:154.

11حميد لحمداني، سحر الموضوع عند النقد الموضوعي في الرواية والشعر، منشورات دراسات –سال، دط، 1990، ص:07.

12محمد مصايف، دراسات في النقد والأدب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1988، ص:141.

[13] حميد لحمداني، سحر الموضوع، ص:12.

14ينظر المصدر نفسه، ص:16.

15ينظر المصدر نفسه، ص:17.

16نفسه، ص:14.

17نفسه، ص ن.

[18] نفسه، ص ن.

*مصطلح الممارسة النقدية من اقتراح لحمداني الذي فضّله على مصطلح التحليل بحصر المعنى

لـ ناتالي ، وقصدت به الممارسة النقدية لأي ناقد يباشر بالتحليل.

19 محمد الدغمومي، نقد النقد، ص:154.

20 محمد الناصر العجيمي، النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية، كلية الآداب، سوسة، ط1998،1، ص:05.

21 المرجع نفسه، ص ن.

*يعرف **المفهوم** بأنه التصور الذهني الذي يقوم بالربط بين الوحدات التي تمكننا من عملية التفكير، أي صنع الأفكار ومكان وجوده ليس في الأشياء بل في العقل، فهو مستوى تجريدي ومادته فكرية ذهنية، ينظر محمد الدغمومي، نقد النقد ، ص:08.

22 محمد الناصر العجيمي، النقد العربي الحديث، ص:07.

[23]المرجع نفسه ، ص:10

[24]حميد لجمداني، سحر الموضوع، ص:17.

25المصدر نفسه، ص ن.

[26]نفسه، ص:18.

27نفسه، ص ن.

28نفسه،ص ن.

[29]حميد لحمداني، بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1991، ص:7.

[30]حميد لحمداني، سحر الموضوع، ص:18.

31-المصدر نفسه، ص: 19.

32-نفسه، ص: 20.

33-نفسه، ص: 19.

34-نفسه، ص: 20.

قائمة المصادر والمراجع:

1-حميد لحمداني، بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991.

2-حميد لحمداني، سحر الموضوع عند النقد الموضوعي في الرواية والشعر، منشورات دراسات-سال،دط، 1990

3-حسن حنفي، المنهج الفلسفي ضمن قضايا العلوم الإنسانية، إشكالية المنهج، الهيئة العامة لقصور الثقافة، دط، دت.

4- محمد الدغمومي، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، .منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، المغرب ، ط1، 1999

5-محمد سويرتي، النقد البنيوي والنص الروائي، نماذج من النقد العربي (الزمن، الفضاء، السرد)، الدار البيضاء، ج2، دط، 1991.

6-محمد مصايف، دراسات في النقد والأدب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1988.

7-محمد الناصر العجيمي، النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية، كلية الآداب، سوسة، ط1998،1.

8-عبد المالك مرتاض، في نظرية النقد ، متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها، دار هومة، الجزائر، د.ط، 2010.